للتواصل:

اسم ولقب الأستاذ: إسماعيل ونوغي

البريد الإلكتروني: smain.ouennoughi@univ-msila.dz

عنوان الدرس: **النحو العربي / النشأة والتقعيد والمصنفات**

أهداف الدرس:

- معرفة أهمية النحو العربي في استقامة المعنى في اللغة العربية.
- توضيح أسباب نشأة النحو العربي.
- وظائف الكلمات والتراكيب.
- حفظ كيان اللغة العربية.
- معرفة دور النحو العربي بوصفه قوانين تقي لغة القرآن الكريم من التحريف.

النحو العربي/ النشأة والتقعيد والمصنفات.

العناصر:

- نشأة النحو العربي ووضع قواعده الأولى
- مصنفات علم النحو
- المصادر والمراجع

النحو العربي / النشأة والتقعيد والمصنفات

نشأة النحو العربي وقواعده الأولى: ممّا لا شكّ فيه أنّ اللغة العربية كانت مستكملة الأدوات في العصر الجاهلي، واتّضح ذلك من خلال ما وصل إلينا من شعر ونثر، وما معلقات الشعر الجاهلي إلاّ دليل واضح على ذلك؛ إذ حملت معاني ودلالات كثيرة عن حياة العرب قبل الإسلام، من صفات وعادات وغيرها ممّا كان سائدا في ذلك العصر، واللغة العربية آنذاك في أرفع درجاتها وهي اللسان العربي الذي استطاع أن يحمل التراث العربي الكبير. ولما جاء الإسلام الدين الجديد بقيت اللغة العربية محافظة على قيمتها وأهمّيتها، وخاصة لغة قبائل الجزيرة العربية عموما والواقعة في قلبها على وجه الخصوص، إذ صارت هي اللغة المصطفاة والمتفق على التعبير بها عما يختلج في النفوس من أهداف ومشاعر وأحاسيس، في حين صار الشكّ في الفساد يراود لغات أهل المناطق الساحلية للجزيرة العربية، وذلك لاختلاطهم بالأجانب الناطقين بغير العربية في التجارة والرحلات. وكان لانتشار الإسلام في ربوع الأرض عن طريق الفتوحات الإسلامية أثر بالغ في انتقال اللغة العربية إلى البلدان المفتوحة، ولسعيد الأفغاني رأي في هذه المسألة إذ قال: «فلمّا كانت الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب الفاتحين بالشّعوب التي كانت تحت سيطرة الفرس والبيزنطيين والأحباش، ودخول كثير من هؤلاء في الإسلام، واضطرارهم إلى تعلّم ما استطاعوا من العربية، وكان بين العرب الفاتحين وهؤلاء الشّعوب اختلاط وأخذ وعطاء، تسرّب الفساد إلى لغة كثير من العرب وبدأ يسمع لحن في التّخاطب قليلا في الأوّل ثمّ أخذ في الانتشار

حتّى لفت إليه أنظار المسؤولين وغيرهم من أهل الحلّ والعقد.»[1]. وبذلك تعدّ الفتوحات الإسلامية من أهم العوامل، وأوضح الأسباب والعلل وأقوى الدوافع على احتكاك العرب المسلمين بغيرهم من الأعاجم، وهذا الاختلاط بين هذه الأجناس المختلفة يمس بالضرورة نواحي عديدة من الحياة بما في ذلك اللغة وتروي لنا كتب النحو على أنّ اللّحن هو الباعث الأوّل على جمع اللغة العربية وعلى وضع قواعد النحو العربي. وإذا كان للحن معاني عديدة فاللحن الذي أقصده في هذا المضمار هو الخطأ اللغوي أو النحوي الذي يبرز في حديث أو في كتابة وقد أشار الأستاذ محمد عيد إلى هذه المسألة محاولا التّفريق بين المعاني التي تنطوي تحت كلمة (لحن) فمن معانيها الفطنة والذّكاء استنادا إلى الحديث النبوي الشريف: «لعلّ أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض.»[2] ومن معانيها كذلك، الفطنة والذكاء والتورية... وفي مجال المعنى أطلقت على الخطإ في المعاني، وذلك باستعمال الكلمة أو التركيب كله على غير وجهه الذي قرره له العلماء.»[3] والخطأ في استعمال الألفاظ والجمل في سياقاتها الصحيحة هو اللحن الذي يرادُ التركيز عليه في هذا البحث.

لقد كانت السليقة اللغوية العربية في شبه الجزيرة العربية صحيحة على الفطرة، فكانت لغة عربية قويمة وفصيحة، واحتكاك العرب المسلمين بغيرهم من المسلمين غير العرب، هو الذي أدّى إلى تغيير أبنية بعض الألفاظ، واختلال ضبط بعض حروفها. وقد اعتنت العرب بالإعراب لأنه عنوان الثقافة والأدب

---

[1]–سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دت، ص8.

[2]–عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول اللهﷺ قال: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض؛ فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطعُ له قطعة من النار.» متفق عليه. 219/17. (موقع الإمام ابن باز).

[3]–محمد عيد، المظاهر الطّارئة على الفصحى، دط، عالم الكتب، القاهرة: 1980م، ص11.

الرفيع، ذلك لأنّ العربية تجري على قوانين ومقاييس يُعدّ الانحراف عنها خطأ ولحنا فيها، وكذلك مفرداتها في صيغها، ومعانيها، وكلّ لغة تجري على قوانين يجب مراعاتها، وتجنّب مخالفتها، ذلك أنّ العربية سليقة لهم مُرن عليها لسانهم، وطُبعوا عليها، فلا يحيدون عن الصواب فيها. وكان ظهور اللحن في بادئ الأمر بسيطا، وكان في الحواضر فقط، ولكن سرعان ما امتدّ إلى البادية، وكان اللحن في أواخر الكلم ثمّ انتقل إلى الصّيغ والأبنية. ومن أدلّته وأمثلة ذلك أنّ عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . مرّ على قوم يُسيئون الرّمي، فقالوا: إنّا قوم متعلّمين، فأعرض مُغضبا وقال: والله لخطؤكم في لسانكم أشدّ عليّ من خطئكم في رميكم. وبذلك يكون عمر بن الخطّاب قد أسهم في نشأة النحو العربي. إضافة إلى تلك الحادثة المشهورة وهي: «قدوم أعرابي في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال من يُقرئني شيئا ممّا أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلّم فأقرأه رجل سورة براءة، فقال:﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ **وَرَسُولِهُ** فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:3] بجرّ لام كلمة **(رسولِه)** الثانية فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمرَ بن الخطّاب مقالةُ الأعرابي، فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ فقال يا أمير المؤمنين: إنّي قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن...وقصّ عليه القصّة، فقال عمر رضي الله عنه ليس هذا يا أعرابي، فقال كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال:﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ **وَرَسُولُهُ** فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:3] برفع لام **(رسولُه)** فقال الأعرابي وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم. وأمر عمر ألاّ يقرأ

القرآن إلاّ عالم باللغة العربية.»[1] ويُعدّ مثل هذا الخطإ خطرا أحدق باللغة العربية عموما وعلى كتاب الله على وجه الخصوص. وأشار الأستاذ عبد الرحمان الحاج الصالح بقوله: «ومن جهة أخرى فإنّ وضع النحو العربي عند العرب كان لسبب ديني واجتماعي وهو المحافظة على القرآن»[2] وفي مثل هذا ما ورد عند الجاحظ حيث قال: «كان عند عمر بن عبد العزيز رجلان فجعلا يلحنان، فقال الحاجب: قومَا فقد أوْذيْتُما أمير المؤمنين! قال عمر: أنت آذى لي منهما.»[3]. فالخطأ اللغوي أو النحوي الذي يقع فيه المتكلّم يُؤذي به المستمع أكثر من الأذى الذي يكون مصدره شيء آخر.

صار النّحو بذلك علما مستقلاّ قائما بذاته إذ صار له أركانه التي يعتمد عليها وأسسه التي يرتكز عليها، كما تطوّر مفهوم النّحو إذ أطلق العرب في البداية لفظ (علم الإعراب) على (علم النحو) بادئ الأمر وبذلك انحصر تعريفهم لمفهوم النحو على أنّه: «التغير الذي يطرأ على أواخر الكلمة من حيث الإعراب والبناء، حيث يقصد من النحو دراسة الأشكال والعلامات الإعرابية التي تعتري أواخر الكلمات.»[4] والظّاهر أن هذا التّعريف ينطبق على تحديد النّحو العربي القديم والتقليدي.

وصار العلماء في العصر الحديث ينظرون للنحو نظرة أشمل من ذي قبل من حيث العلاقات التركيبية اللغوية للكلمة من جميع المستويات اللغوية، وأنظمتها

---

[1]–ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة. ط1، الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة: 1423هـ–2002م، جمهورية مصر العربية، ص24.

[2]–عبد الرحمان الحاج صالح، تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، 06 شارع العقيد بوقرة . الأبيار. الجزائر، السنة2، ديسمبر2006م، العدد4، ص9.

[3]–أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون. دط، دار الجيل، بيروت، دت، ج3، ص240. وكذلك: محمد عيد، المظاهر الطّارئة على الفصحى، ص11.

[4]–ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتّجاهات الحديثة، ص18 .

المختلفة فأصبح النحو وسيلة لحفظ اللسان والقلم من الزلل واللحن، وليس غاية في حد ذاته.

لا غنى من تأكيد أنّ النحو العربي هو الدعامة الأساسية التي تقوم عليها اللغة العربية منذ نشأتها وخصّها الله سبحانه وتعالى إضافة على ذلك بأن جعلها لغة مقدّسة وسعت آي القرآن الكريم، وفي هذا السياق لفتة طيّبة للإمام عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) في خضمّ حديثه عن إعجاز القرآن والتنسيق بين العناصر في التركيب والاستعارة... وهو يؤكّد على أهمية النحو العربي وعدم إمكانية الاستغناء عنه بأيّ حال من الأحوال حيث قال: «ذلك لأنّه إذا كان لا يكون النّظم شيئا غير توخّي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنّه يطلب المزية في النظم ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي النظم عبارة عن توخّيها فيما بين الكلم.»[1]. ما من شكّ أنّ النحو العربي إذن يمثل ركنا سميكا في عملية نظم الكلام وترتيب الألفاظ والتنسيق بينها للدلالة على المعنى المقصود، بالاشتراك مع عناصر أخرى في اللغة العربية.

ولقد نشأ النحو العربي وترعرع في العراق لأنه على حدود البادية وملتقى العرب، وغيرهم من الأمم والشعوب، وإنّ معظم الروايات تؤكد أنّ أوّل من وضع النحو العربي هو الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ثم قام أبو الأسود بتطويره وإثرائه بدروس متعددة، وقال ابن الأنبا ري في هذا الشّأن: «وسبب وضع علي لهذا العلم ما روى أبو الأسود، قال: دخلت على أمير المؤمنين، فقال إنّي تأمّلت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء-يعني الأعاجم- فأردت أن أضع لهم شيئا يرجعون إليه، ويعتمدون عليه، ثمّ ألقى إليه الرقعة، وفيها مكتوب، الكلام كله: اسم وفعل وحرف... وقال لي: انح هذا النحو، وأضف إليه

[1]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ط1، بيروت: 1415هـ-1994م، ص253.

ما وقع إليك قال: ثم وضعت بابي العطف والنّعت ثمّ بابي التعجّب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إنّ وأخواتها، ماخلا لكن، فلمّا عرضتها على عليّ كرم الله وجهه أمر بضمّ لكن إليها، وكنت كلّما وضعت بابا من أبواب النحو عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية، قال ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت! فلذلك سُمّي النحو.»[1]

إنّ هذا الكلام في غاية الأهمّية إذا عرفنا أنّ اللغة تنبني على قواعد وأسس ثابتة، وهذه القواعد هي أيضا جزء ثابت من اللغة ولا يتبدّل، إذ تشمل كلام النّاس ومقاصدهم، وبواسطتها يركّبون الجمل والعبارات، وهذه الأسس لا تتعلق بالمفردات فحسب بل تمسّ كذلك الجمل وما يُحيط بها من جميع الجوانب المتعلّقة بصياغتها، وكيفيّة تكوّنها، لكي تكون جملا صحيحة سليمة وكاملة يُفهم الغرض منها، ويتمّ من خلالها الوقوف على المدلول الناتج عن اجتماع تلك المفردات في ذلك النسق الخاص والنسيج المتماسك، وقد وقف العلماء أمام هذه القواعد طويلا وأصّلوا لها الأصول والمرتكزات التي ترتكز عليها، فكانت بذلك الرحلة الشّاقة التي بدأها النحو مع اللغة العربية.

وعلم النحو كغيره من العلوم اللغوية لم يوجد كاملا ومجملا فقد نشأ نتيجة عدّة ظروف لاءمت ميلاده وبروزه إلى الوجود، ثمّ سلك مسلك النّضج والتّطوّر إلى أن أصبح علما قائما بذاته. وبذلك فالنحو عماد اللغة واللغة عماد كلّ أمّة، والنحو العربي على مرّ السنين تخلّلته الكثير من الشّوائب طمست مجموعة من معالمه، وسترت محاسنه، وجعلته في نظر مجموعة هائلة من أبنائه ممّن يتعلّمونه طوعا أو كرها عسير المسلك صعب التّمرّس فبعد أن وُضع هذا العلم من أجل صيانة اللغة العربية من الفساد، ودرء خطر اللحن الذي اجتاح ألسنة الناس بسبب مخالطة الأعاجم بعد قيام الدولة الإسلامية وما ذلك إلاّ لتراكم صعوبات تعليم

[1]–ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، ص19.

النحو وعدم مسايرته التّطوّر اللاحق بمختلف جوانب حياتنا المعاصرة حتّى باتت الدعوة إلى تيسير النّحو مطلبا يتّفق عليه الباحثون، وتوصي به المجامع اللغوية العربية والهيئات التّدريسية والوزارات التّعليمية، لذلك لازال نحو العربية عسيرا عند أهلها، ولا يخلو من تعقيد، ولا يسلم من انحراف، وما زال هذا النحو مثار الشّكوى لدى المعلّمين والمتعلّمين على حدّ السّواء حيث يدفعهم حبّ الاطّلاع على دراسته، ولكن سرعان ما تخمُد همّتهم فلا يكادون يبلغون منه الغاية أو يصلون فيه إلى نهاية، وكلّما اتّسع أمامهم مجاله وجدوا صعوبة أكثر وتشابكا في مسالكه، فشغلتهم الوسيلة عن الغاية.

صار النّحو بهذا أحد مشكلات التّعليم في أغلب بلادنا العربية، تقع بين طرفين متناقضين، إمّا دراسة ضحلة مهلهلة لا يفهم الدّارس والمدرّس فيها شيئا ممّا يقول، وإنّما هو ترديد لأقوال وآثار العلماء القدامى، وأخذ من كتبهم ممّا لا يغني الدّارس ولا ينمّي فيه ملكة التّعبير الصّحيح، وفهم النّصوص فهما سليما، وإمّا دراسة تقليدية مضنية متعبة لا ارتباط بينها وبين واقع الحياة العقلية المعاصرة. هذه المسألة هي التي ولدت إشكالية في تعليم النّحو العربي، أكثر من أيّ وقت مضى نظرا للضّعف اللغوي الذي أصبح يُشكّل ظاهرة عامّة تزداد استفحالا مع مرور الزّمن، وممّا لا شكّ فيه أنّ أسباب هذه الظّاهرة معقّدة ومتعدّدة الجوانب، منها ما يتعلّق بطرائق تعليم النّحو العربي ومنها ما يتعلّق بتكوين المعلّمين، ومعظم أسباب قصور لغة الناطقين باللغة العربية مردّه إلى الضّعف في تدريس وتلقّي مادّة النحو العربي، لهذا فإنّ المنظومة التعليمية العربية تسعى لسدّ هذا الضّعف عن طريق ابتكار طرائق ووسائل تعالج هذا النّقص، ولقد مسّ الإصلاح الجديد في الجزائر جميع مستويات التّعليم من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية، ومن جوانب هذا الإصلاح محاولة تحسين تعلم اللغة العربية

عن طريق تبديل وتنويع المناهج التعليمية والمقرّرات السنويّة التي يتلقّاها الدّارسون.

بعض مصنفات علم النحو العربي:

- ✓ أبو بشر عمرو سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة: 1977م، جمهورية مصر العربية، ج1.
- ✓ أبو إبراهيم الفارابي، ديوان الأدب، معجم لغوي تراثي، تحقيق عادل عبد الجبّار، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت: 2003م.
- ✓ أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت: 1404هـ-1984م، ج3.
1. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار، ط2، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض: 2006م، العربية السعودية، ج1.
- ✓ محمود سليمان ياقوت، النّحو التّعليمي والتّطبيق في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: 2002م، جمهورية مصر العربية.
- ✓ محمد التو نجي، راجي الأسمر، المعجم المفصّل في علوم اللغة (الألسنيات) ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1414هـ-1993م، لبنان، ج1.
- ✓ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 1985م، جمهورية مصر العربية، ج2.
- ✓ ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت: 1374هـ-1955م، مجلد15.
- ✓ علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، دط، بيروت، دت.

✓ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، دار الجيل، دط، بيروت، دت.
✓ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة للطّباعة والنّشر، دط، تركيا، دت، ج1.
✓ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز(الميسّر) دار الكتاب الحديث، ط1، الكويت:1414 هـ-1993م.
✓ الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربية، المكتبة العصرية، ط 25، بيروت: 1416هـ-1991م، ج1.
✓ السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، حسب منهج متن الألفية لابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
✓ عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: 1998م، جمهورية مصر العربية.

المصادر والمراجع:

المصحف الشريف.

- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ط1، بيروت: 1415هـ-1994م.
- أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون. دط، دار الجيل، بيروت، دت، ج3.

- سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دت.
- محمد عيد، المظاهر الطّارئة على الفصحى، دط، عالم الكتب، القاهرة: 1980م.
- ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة. ط1، النّاشر: الدّار المصرية اللبنانية: 1423هـ-2002م.
- عبد الرحمان الحاج صالح، تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، 06 شارع العقيد بوقرة-الأبيار- الجزائر، السنة 2، ديسمبر 2006م، العدد 4.
- السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، حسب منهج متن الألفية لابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: 1998م، جمهورية مصر العربية.